مقدمة المؤلف

قـد يكون من الجدير بالبيان تذكرة أهل الإسـلام من العرب أنهم حَمَلَـة هذا القـرءان، لأنه نزل بلغتهم، وأَمَرَنا ربنـا بالدعوة والجهاد به، وبالأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر، وما يكون ذلـك إلا حقا واجبا عـلى كل أهل الإسـلام عامة، وعلى العرب خاصـة، ويقع في حق أهل التخصص المسئولية العظمى لهذا البلاغ وتلك الدعوة، وترجمتها بكل لغات العالم.

لذلـك وجب التدقيق والتمحيـص في كل حرف من حروف كتاب الله، ومحاولة الوقوف على هدف الشارع الحكيم جل جلاله في وضع كل حرف فيه، وإن صيحة غلق باب الاجتهاد، وتعظيم فقه السلف، وتسفيه الخلـف، والاعتماد الرئيسي عـلى الأحاديث النبوية وتعظيمها حتى طغى بعضها بما يحمله من اختلاف على كتاب الله، كل ذلك أفسد تدين الأمة، حتى صار الكثير منا يسلك في فجاج الإشراك بالله دون أن يدري.

وسيلاحظ القارئ بأني شننت هجوما على بعض الفقه القديم وبعض التأويلات التي يتبناها الأزهر، وما ذلك لسوء طوية ولا لعدم قبول الفكر الآخر، لكنه دفاعا عن كتاب الله وقدسية آياته، فلا أسمح بمخالفة صريح ما أتت به الآيات تحت أي مسمى ولو كان شعار (حديث صحيح) أو (ورد بالصحاح)، فمنهاجي لاعتماد الحديث النبوي عدم مخالفته لصريح القرءان، كما توقفت عند من يشعلون نارا ويسمونها علما من خلال تأويلاتهم للآيات ظنية الدلالة، وعلى رجال الأزهر أن يضطلعوا بمهمتهم السامية، وليقوموا بوضع أسس جديدة لتعديل أصول الفقه، حتى يتواكب الفقه مع أهداف القرءان وعقول اليوم، فقد أصبح بين الدعاة والناس فجوة فكرية عظيمة، مما أدى إلى تنصر البعض، وخروج البعض إلى البهائية، والبعض إلى العلمانية التي لا تؤمن بدين، وماج العامة في أوحال بعض ما سمعوه من تراث لم يصب بعضه كبد الحقيقة، وبعضه يتصادم مع نصوص كتاب الله.

لذلك فقد رأيت من واجبي تبصير الناس وأهل التخصص بنبذة فارقة مما كثر فيه الخلط، وهو معنى الساعة ويوم القيامة والفرق بينهما، وهل هما صورتان لوجه واحد، أم هما وجهان لصورة واحدة، أم هما صورتان مختلفتان، وبينهما تباين لم تشأ الأمة الوقوف عليه، حتى فسد فهم بعض آيات القرءان.

وإذا ما أضفنا أن كثيرًا من أهل التخصص لا يفرقون بين الرؤية والنظر والبصر، ولا بين الأب والوالد، ولا بين العاقر والعقيم، ولا متى نقول تعبير (إن شاء الله) وتعبير (بإذن الله)، فلقد نشأنا لا نفرق بينهما، وغير ذلك كثير، وبذلك اختلت منظومة تدبر القرءان، واختلت الدعوة به إلى الله.

ذلك فضلا عن عدم اعتماد المتخصصين للاكتشافات العلمية كمنظومة بيانية للقرءان الكريم، فإننا نجد أنفسنا أمام تخلف لغوي وعلمي وثقافي وإدراكي، وما يجب أن يكون كتاب الله هملا بيننا بينما نحن حراسه، والمفترض أننا أهله، وإلا فما فائدة لساننا العربي؟.

والاعتماد على القرءان بشأن الغيبيات هو الأوجب لمنهاج ينشد السوية أو يجب عليه ذلك، إلا أن البعض يفضلون هجران كتاب الله، بينما يصيحون بأنهم أولياؤه، لذلك جاء علمهم ودعوتهم وقد كثر بهما التناقض مع كتاب الله، بينما هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وقد يتصور آخرون وجود خلط بكتاب الله بين الساعة والقيامة، فيرونهما وجهين لعملة واحدة، لكن لابد أن نعرف أن بكتاب الله آيات ظنية الدلالة، فمن أراد الزوغ عن الحق فهو يتبع تلك الآيات.

والقرءان لم يترك أمور الآخرة ليرويها القصاصون، ويفتنوا الناس

ويقولوا (حديث صحيح) فما تكون صحة الحديث في مخالفة كتاب الله!، وما كانت عقولنا قاصرة عن إدراك تناقض ما يقولون، فلقد دأبوا على رجم الناس بالقصور العقلي والفقهي ليخرجوا بغنيمة الإصرار على ما هم فيه دون أن يصوبوا فقههم.

ونتيجة اعتياد مخالفة كتاب الله، فقد نشأ علم التبرير، فترى كثيرًا من أتباع الفقه القديم وقد أعدوا لكل معضلة حلاً ليستمر هجرانهم ومؤيديهم لكتاب الله على حساب الروائيات والرقائق تارة، والغلو وإخافة الناس تارة أخرى، وحاربوا مخالفيهم بوصمهم بالجهل، وانعدام التخصص، وإنكار السُّنة وغير ذلك، حتى يستمروا في مخالفة كتاب الله بلا تعقل.

والكتيب الماثل يقع في فصلين الأول عن الساعة والثاني عن يوم القيامة، وقد قمت بربط الأمر وشواهده بحياتنا التي نحياها، حتى لا يكون العلم مجرد سرد لآيات الله دون إدراك لمفعولها في حياتنا وما ترمز إليه في عمرنا الذي نحياه.

ولقد أضفت ما أراه تصحيحا لبعض ما ينتهجه الناس من مناهج ترصد الله للعاصين بالعقوبات والعذاب، كما أضفت له موضوع قبول الله للأعمال أو عدم قبولها، وهي مسائل من الحساب والميزان الذي هو من شواهد الدار الآخرة يوم القيامة، كما حوى الكتاب

موضوع الشفاعة من منظور الآيات صريحة الدلالة بكتاب الله، وورد به موضوع عن مقياس دخول الجنة أيكون بالرحمة أم بالعمل، وذلك حتى تستقيم العقائد، ويحسن الناس الظن بالله.

والكتيب إضافة إبداع للمكتبة الإسلامية حيث لم يسبق الاعتماد الرئيسي على كتاب الله في تبيان أمر الدار الآخرة، ولا أعلم أحدا تصدى لتبيان الفرق بين الساعة والقيامة والعلاقة بينهما وبين اليوم الآخر، ونظرا لاعتمادي الأكبر على الآيات القرءانية المحكمة الدلالة فإن ما جاء به الكتاب له أصل يؤمن به كل أهل الإسلام.

وأخيرا أشكر كل من عاونوني على نحو ما صدر به الكتاب، وبخاصة معاونتي وتلميذتي السيدة الفاضلة/ هالة كمال عبد الحق، فهي دوما نعم المعين والضابط لكبح جماح الألفاظ النقدية.

مستشار/أحمد عبده ماهر